مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص701-715

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تنوع الأنساق والدلالات في الخطاب الشعري الشعبي خلال العهد العثماني – المديح النبوي أنموذجا –

Diversity of patterns and connotations in popular poetic discourse during the Ottoman period - the Prophet's praise as a model

هاجر حمداوي *

جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف–الجزائر–

hamdaouihadjer@yahoocom

تاريخ الاستلام: 2020/05/11 تاريخ القبول: 2020/06/12

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية للكشف على الأنساق المضمرة و الحقول الدلالية في قصيد ة" في المديح النبوي في الشعر الشعبي الجزائري خلال العهد التركي وقد اخترنا قصيدة أحسن ما يقال عندي" للشاعر سيدي لخضر بن خلوف الذي اشتهر بمدح النبي صلى الله عليه وسلم، و عرف بأخلاقه و زهده و علمه و حِكمه و لعل هذا يعود للحقبة العثمانية التي تميزت بانتشار الطرق الصوفية وتشجيع السكان على حفظ القرآن و عملت على فتح المؤسسات الثقافية وفي مقدمتها الزوايا المدارس والمساجد وكان لها دورا رائدا في نشر القراءة، فنجد الكثير من الشعراء يميلون للشعر الديني والذي نجده حاضرا في جل الانتاجات الشعبية و على ضوء هذا اتسمت هذا المقال بعنوان: **تنوع الأنساق و الدلالات في الخطاب الشعري الشعبي خلال العهد العثماني –المديح النبوي أنموذجا**

الكلمات الدالة: أنساق؛ مضمرة، دلالة،مديح نبوي، شعر شعبي، قصيدة، هذا أحسن ما يقال عندي.

Abstract:

This research paper aims to uncover implicit formats and semantic fields in a poem "On the Prophetic Praise in Algerian Folk Poetry during the Turkish Era, and we have chosen a poem of the best that I have" by the poet Sidi Lakhdar Ibn Khallouf, who was famous for praising the Prophet, may God bless him and grant him peace, and knew With his morals, asceticism, knowledge and wisdom, perhaps this goes back to the Ottoman era, which was marked by the spread of Sufi orders and encouraging residents to Memorize the Qur'an and worked to open cultural institutions, especially the corners of schools and mosques, and had a pioneering

* **المؤلف المرسل:** هاجر حمداوي، **الايميل:** hamdaouihadjer896@yahoo.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

role in spreading reading, so we find many poets tend to poetry Religious, which we find present in most of For popular productions, and in light of this, this article was characterized by a title: Diversity of patterns and connotations in popular poetic discourse during the Ottoman period - the Prophet's praise as a model.
Keywords Formats; pronounced; connotation, praise of the Prophet; popular poetry; poem; this is what I say best.

مقدمة:

إنّ التّراث الشّعبي بفنونه القوليّة التّلقائيّة رافدا من روافد الهويّة الوطنيّة، رافق الأجيال المتعاقبة، فالأدب الشّعبي مرآة عاكسة لواقع الناس ويومياتهم، و من أشكاله نجد الشّعر الشّعبي الّذي يعد وسيلة إعلام الأمة صادر من نفس صادقة ، نظمه شعراء يعيشون آمال و آلام شعوبهم، و قد لعبوا الدّور البارز في المحافظة على الإرث الشّعبي من الضياع والاندثار، جاعلين أشعارهم صوتا شعبيا يوّجه النّاس و يعرفهم بقضاياهم الوطنية الاجتماعية، الدينية و يعتبر الشّعر الدّيني الأكثر انتشارا، بحيث يسجل حضورا قويا في دواوين الشعراء الشعبيين، و قد انتشر في الجزائر مع ظهور الصوفية الحقيقية بأورادها الّتي تغنى بها الشعراء في الزواياو من بينهم سيدي لخضر بن خلوف الذي اشتهر بمدح خير البرية نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– ووصف حبه له و اشتياقه لرؤيته، وتُحلى أشعاره بصبغة دينية ترمي إلى أهداف عديدة تستطيع أن تقول عنها أنساق مضمرة.

أولا: مفهوم الأدب الشعبي:

إن الأدب الشعبي"مجموعة من العطاءات القولية والفنية والفكرية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب " (عبد اللطيف خورشيد، 1991) لذا فالأدب الشعبي ربط بين ما ينتجه الكتاب وما يحبه الشعب فأنتج هذا المزيج فنا جميلا ألا وهو الأدب الشعبي.

أ –أشكال التعبير في الأدب الشعبي:

إن الأدب الشعبي "خلجات الشعوب النفسية واهتماماتهم الروحية "ومن الأشكال التي يتخذها الأفراد للتعبير هي:

1 –الأسطورة: يقول مارك شورو " إذا أحسسنا بأننا لم نعد قادرين على التعبير عن معنى الحياة، فلا أقل من أن نخبر عن ظواهرها" (خليدة إبراهيم، صفحة 9) إن الأسطورة توازي الخرافة وهي في الغالب

حكاية حقيقية ولكن بتطور الزمن زادت أو نقصت ولها أنواع: الطقوسية، أسطورة التكوين،التهليلية، الرمزية، أسطورة البطل الإله أسطورة جلجامش.

2 –المثل الشعبي: إن المثل هو معنى صيب التجربة والفكر في الصميم فهو خلاصة التجارب ومحصول الخبرة (خليدة إبراهيم، صفحة 91)

3 –النكت: هي نتاج أدبي ينبع من الاهتمام الروحي الشعبي وتحدد المكان والزمان التي نشأت فيه وهي خبر صغير في شكل حكاية تثير الضحك (خليدة إبراهيم، صفحة 131).

4 الألغـاز: اللغز شكل أدبي قديم قدم الأسطورة والحكاية وفي جوهره استعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك الترابط وإدراك أوجه الشبه والاختلاف (خليدة إبراهيم، صفحة 185)

5 الشعر الملحون: هو مادة خصبة لمن يريد البحث والتعمق في معرفة الأسرار، وهي جزء من التراث الشعبي، ويجب أن يكون صاحبها ملم بجميع المداخل اللغوية أو الاجتماعية وقد تم استبدال اللغة الفصيحة باللهجة العامية.

ثانيا: التوجه الديني للشعر الشعبي الجزائري:

إن سبب اتسام الشعر الجزائري الشعبي بصبغة دينية هو كثرة المساجد والزوايا، فكان الشعراء يحفظون القران والأحاديث الشريفة ، والاطلاع على كتب الدين والتفسير.

ثالثا: الفكر الإسلامي:

إن كل ما أنجزه العرب كان ومازال مصدره الإسلام والقرآن بما فيه من اعجازات أذهلت سكان المعمورة، فديننا دين مبني على تعاليم هدفها إخراج الإنسان من الجهل إلى العلم وذلك ما يسهم في تطور الأفراد فيدعونا للتأمل والتدبر وإعمال العقل للوصول إلى المعرفة.

يعد القرآن الكريم و الحديث الحديث الشريف مصادر أساسة للمادح في الشعر الشعبي الجزائري فاتخذهما الناس سبيلا للرشاد و الطريق الصحيح، كما أن الله تعالى أمرنا باتباع أوامر و نواهي رسولنا الكريم و ذلك من خلال أحاديثه" و أصبح التطلع عليه ضرورة دينية إذ هو بيان للقرآن و متمم للشريعة و نصيحة للأمة و لا يستغني عنه مفسر و لا فقيه و لا واعظ و لا مسلم و لا باحث في أصول هذه الشريعة أيا كان معتقدهو لذلك أوصى الرسول صلى الله عليه و سلم أصحابه بأن يأخذوا عنه القرآن و أن يعملوا به" (لجنة العلوم الشرعية، 2002، صفحة 6)

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص701-715

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لقد كان القرآن الكريم والأحاديث النبوية مرجع الشعراء الشعبيين في مدح النبي صلى الله عليهوسلم.

رابعا: المديـح النبوي:

مفهوم المديح:

أ –لغة:

عرف المديح عند العرب منذ القدم، فهو لغة الثناء والتقدير، كان يعبر عن الأخلاق و المثل العليا والفضائل التي يتميز بها شخص معين و عرفه الخليل في كتابه العين بقوله:" هو نقيض الهجاء و المدحة اسم مديح و جمعه مدائح و مدح" (الخليل بن أحمد الفراهيدي) و هو بذلك ذكر الشمائل الحسنة فنقول:" مدحه أحسن الثناء عليه (الفيروزآبادي، 2005)والتنويه بصفات الممدوح و شكره فمدحه أثنى عليه لما له من صفات (معجم الوسيط، 2004) أما في أساس البلاغة للزمخشري: مدحه امتدحه، فلان ممدوح ممدح، يمدح بكل لسان و مادحه، و العرب تتمدح بالسخاء، و هو يتمدح للناس أي يطلب مدحهم." (محمود بن عمر الزمخشري ، 1923)

من خلال ما سبق نخلص إلى أن المديح يعني الثناء والتقدير والتنويه بالشكر للممدوح لما له من صفات حسنة. في اصطلاح الأدباء والنقاد فهو غرض شعري يهتم بذكر شمائل الممدوح.

ويعد المدح من أقدم الفنون الأدبية، بحيث احتل مكانة رفيعة وقد ظهر بكثرة وبحسب الأبحاث والدراسات فهذا الفن موجود منذ الأزل وتطور مع تطور التاريخ وهذا الغرض استعمل إما لمصلحه أو هدف شخصي أو حبا وإكراما للممتدح.

ب –اصطلاحا:

يعد المديح فن عريق وقد قام مقام السجل الشعري لجوانب عديدة من حياتنا التاريخية." وأكثر ما جعل المدح ناجحا هو الكشف عن الخبايا الحسنة لفئة معينة من الناس. وقد عرفه سامي الدهان بأنه " رسم نواح عديدة من أعمال الملوك وسياسة الوزراء وشجاعة القواد وثقافة العلماء" (سامي الدهان، صفحة 5)

ومن خلال المدح تم الرفع من شأن هؤلاء، مما أسهم في شهرتهم، وقد يحرم منه البعض ويحظى به البعض الآخر.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أما إميل ناصيف فيرى أن المديح" فن من فنون الشعر الغنائي يقوم على عاطفة الإعجاب وتعبير عنالشعور اتجاه فرد من الأفراد، أو جماعة أو هيئة ملك عليها الشاعر إحساسه، وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه." (إميل ناصيف، 1992، صفحة 9)

إن الشاعر يركز على ذكر الفضائل بلغة لبقة تجليلا للممتدح للوصول لمبتغاه.

خامسا: المديح النبوي في الشعر الشعبي الجزائري:

إن عموم الفوضى والاضطرابات خلال السيطرة العثمانية نتيجة اقتتال التشكيلات العسكرية فيما بينها لاستلام السلطة ورغم الاقتتال إلاّ أن العثمانيين أثبتوا وجودهم فقد أوقفوا الزحف الإسباني وحققوا انتصارات رائعة ضمنت سلامة التراب الإفريقي (إميل ناصيف، 1992، صفحة 15)

نذكر كل ذلك للإشارة إلى أن هذه الأوضاع السياسية والاجتماعية أثرت مباشرة في الانتاج الأدبي منه المديح النبوي الذي يمثله آنذاك الشاعر سيدي لخضر بن خلوف.

سادسا: سيدي لخضر بن خلوف:

أ – نشأته:

عاش سيدي لخضر بن خلوف في العهد الزياني†، نشأ في ناحية من جبال مغراوة الجزائرية، مشهور بخصال العرب ويمتاز زمانه بانحطاط السياسة الداخلية مع وجود ثقافة عربية إسلامية.

لم يحدد مولد الشاعر المادح بالتدقيق، فقد ذكر مولده في أواخر القرن الثامن الهجري وقد عمر الشيخ بن خلوف ما ناف على مئة وخمسة وعشرين عاما حيث قال: (محمد الحاج الغوثي بخوشة، صفحة 23)

جوزت ميا وخمسة وعشرين حساب وتميت من وراسني ستة شهور

†**العهد الزياني** : منذ بداية القرن السادس عشر، بدأ العرب صراعهم مع الإسبان واستمر هذا الصراع قرونا عدة، تكبد الإسبان خلالها ألوف القتلى وقدم سكان المغرب العديد من الشهداء لقاء تصديهم للإسبان دفاعا عن تراب وطنهم وقد شارك الأتراك سكان المنطقة خلال هذه القرون وعاشوا في الجزائر أزيد من ثلاثمائة سنة وسادت هذه الفترة بطولات عديدة حيث قاموا بحرق السواحل الأوروبية ردا على الممارسات الأوربية من قتل للأبرياء وارتكاب للمجازر (عزيز سامح التر، 1989، صفحة 6)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ب **شعره:**

عرف عن الشاعر بن خلوف المديح لا غير، بدأه بعد سن الأربعين وقد خصها لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، فكان شعره حكم وزهد ومواعظ فلم يضارعه أحد من شعراء الملحون في المدح فكان يحب سماع المديح على آلة الطرب كالدف والرباب حيث يقول: (محمد الحاج الغوثي بخوشة، صفحة 24)

لو كنت من أهل العقول نفني شبابي بصلاة على الرسول في كل حين

بالعبرانية وباللسان العربي والكف مع الدف والرباب الحنين

كانت أشعار سيدي لخضر بن خلوف مستوحاة من الواقع في تلك الفترة ومنه امتزج العلم والمعرف بالموهبة والإحساس والظروف الرهيبة فأنتجت شاعرا عظيما فذا سخر حياته لمدح خير البشر .

ت قصيدة أحسن ما يقال عندي

حُبِك فِي سُلطان جَسدِي مَا عَزِك يَا عِين وَحدا

قَدرُ النّحلة إلِي تِسدِي تِبنِي شَهدَة فُوف شَهدَة

يَا مُحَمَد أنتَ سِيدِيصلَى الله عِليك لِبدَا

اللَهُمَ صَلِ وسَلم طُول الدّهر عَلَى نَبينَا

قدر نجوم الليل الأَظلِم و الأمطار النازلين

الشّعرسِلك حرير بيديما حملت بِضنَاه دُودا

يَا مُحَمِد أنتَ سِيدي صلى الله عليك لِبدَا

أَعُوذُ بِالله نَقرَا نِختم بِالقرآن فاه

فَضل الله كتَابَه عِندِي يِكفِينِي قُوتِي وغدَا

نِهزِم بِه القومَ نفسِي والشّيطان الأعدا

يَا مُحَمِد أنتَ سِيدِي صلي الله عليك لِبدَا

يَا مُحَمِد بجاه جَاهِك لُولاَ أنتَ مَن سألَ فِينَا

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص701-715

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عرفوني لَمّا امتدحتك نُفخَر بِيك وَلاَعليا
الأَترَاك الِي تزِدك خدمِت ولاَدِي رَاعِيا

يَا مُحَمِد أنتَ سِيدِي صَلَىالله علِيك لِبدا
بِكفَانِي صَدقي ونِيّة الأَخضِر كِيفٌ يكـون خَاطِي

تِسعَة وتِسّعِين رُؤية والعَاطِي مازَال يَعطي
خلق الله بادِي وبلدي مَغطُوسين فِي الخِير شَهدَاً

مَا مَحرُوم إلا اليهودِي إلي مات بلاشهَادَا
يا محمد أنتَ سِيدِي صلى الله عليك لِبدَا

نِخـتِم قُولِي بِصلاته على صاحبالغَمَامَا
هُو الشّفِيع فِي أُمتَهٌ شَافعنَا يوم القِياما (محمد الحاج الغوثي بخوشة، صفحة 45)

سابعا:دلالة الرمز في قصيدة "أحسن ما يقال عندي":

تعددت الرموز في هذه القصيدة وكلها مستوحاة من القران الكريم ومن هذه الرموز نذكر:

1**–النحلة:**

يقول الشاعر: **قَدرِ اَلنّحلَة اِلِي تسّدِي تِبنِي شَهدَة فُوق شَهدَة**

تعتبر النحلة رمز الكفاح و الإرادة و العمل و كذلك الكثرة، فالشاعر يبين في هذا البيت كثرة صلاته على النبي صلى الله عليه و سلم من جهة ودلالة ايضا على قدرة الله تعالى بحيث جعل لنا الكائنات الحية كعبرة في عملها و سعيها لكسب قوتها و هي كذلك للتأمل و التدبر و منه يقول الله تعالى:﴿**وَأَوحى رَبُّكَ إِلَى النَّحلِ أَنِ اتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمّا يَعرِشون ثُمَّ كُلي مِن كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخرُجُ مِن بُطونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ أَلوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلنّاسِ إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً**

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لِقَومٍ يَتَفَكَّرونَ﴾فالنسق المضمر في هذا البيت هو الدعوة للتأمل في قدرة الله من جهة و الاقتداء بهذا الكائن البسيط في النظام و العمل للنهوض

2-النجوم والأمطار:

يقول الشاعر: **قَدر نجُوم اللِيل الأَظلَم والأَمطَارِ النّازِلِينَ**

يبين الشاعر انه يكثر من الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عدد النجوم التي تظهر وسط الليل الشديد السواد، وهذا ما يدل عليه البيت في ظاهره لكن النجوم رمز الهداية بحيث تبين للإنسان الطريق ومنه نجد سيدي لخضر بن خلوف يدعونا لاستغلال الثروات التي سخرها الله لنا لقضاء حوائجنا والتمتع بمنظرها وفيه تأمل وتفكر في قوة وعزة الله تعالى، وترمز النجوم عندشعوب العالم إلى التطور والتقدم (فيليب سيرنج، صفحة 300)

أما الأمطار فهي رزق من الله تعالى يغيث به عباده لسد حاجاتهم من زرع و عطش .....الخ و لمكانته و قيمته في الحياة تتخذه بعض الشعوب إلاها و خاصة الشعوب الهندية، أما المصريون فيعتبرونه اصل انبعاث العالم و بعض الفئات البشرية تعتبره أصل التجديد و مصدر الحياة (فيليب سيرنج، صفحة 331)أما في هذا البيت فيقصد به الاقوام التي عذبها الله بالمطر لأن لفظ المطر لم يرد القران الكرم إلا ليعذب به الله تعالى الأقوام فيقول عز وجل﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**﴾ (سورة النمل، الآية 58) **و قوله أيضا :**﴿ **وَأَمطَرنا عَلَيهِم مَطَرًا فَانظُر كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُجرِمينَ** ﴾(سوة الأعراف، الآية 84) فسيدي لخضر بن خلوف ذكر النحل و اليل و النجوم للتدبرو التأملو أيضا لكثرتهم و نهم فهو يصلي على النبي بنفس عدد النجوم وقطرات الأمطار و النحل .

وكذلك ينوه الشاعر للتدبر في خلق الرحمن والتوبة فلو كان الشاعر يريد من القارئ التأمل في نعمة الماء للفظ الماء ورد في القران الكريم ليجزي به المحسنين لقوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحيا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِها إِنَّ في ذلِكَ لَآيَةً لِقَومٍ يَسمَعونَ**﴾ (سورة النحل، الآية 65)، وهنا الفرق الماء ذكر في القرآن للإحياء الزرع والمطر للتعذيب.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

3–القبر والنار:

فِي قَبرِي بَاغِيك تُوجد لَجْنَة مِفْتاح اِنتَا
الكَافِر فِي النَّار يُخَّلِد والعَاصِي بِرجَاك حَتَا

بما أن الإنسان يولد و مصيره الموت فكل نفس ذائقة الموت و هي حقيقة لا مهرب منها و الخفي من هذا البيت هو أن الإنسان من تراب و إلى التراب يعود (فيليب سيرنج، صفحة 331) أما النار فهي رمز للقوة و يحتاجها الانسان للتدفئة و الإضاءة و في بعض الثقافات هو رمز السمو و يمكن أن تنقلب ضده فتحرقه (فيليب سيرنج، صفحة 333) و منه وجب الاحتراس منها، أما في القران الكريم فهي تدل على العذاب و توعد الله للمجرمين و قد سماها بأسماء عديدة منها الحطمة السعير–جهنم.....الخ و ذكرت كوسيلة لقضاء الحاجات لقوله تعالى: ﴿ **إذ رَأى نارًا فَقَالَ لِأَهلِهِ امكُثوا إنّي آنَستُ نارًا لَعَلّي آتيكُم مِنها بِقَبَسٍ أَو أَجِدُ عَلَى النّارِ هُدًى** ﴾ (سورة طه، ص10)

ومنه نستنتج ان كل هذه الرموز لها معاني تشير إليها، وقد استعملها الشاعر سيدي لخضر بن خلوف ليبين ما يرمي إليه،ولكل رمز معنى وهو في حد ذاته نسق مضمرو صورة من صور الدعاء لتجنب الهول الأعظم يوم القيامة يوم تجتمع الخلائق.

ثامنا: الأنساق المضمرة في قصيدة "أحسن ما يقال عندي:

أ –الدلالة النسقية:

تنقسم الدلالت النسقية في مجملها إلى ثلاث دلالات: "الدلالة المباشرة الحرفية، والدلالة الإيحائية المجازية الرمزية، والدلالة النسقية الثقافية. يقول الغذامي" مضيفا عنصر سابع إلى عناصر الرسالة الستة وسميناه بالعنصر النسقي، فهو سيصبح المولد للدلالة النسقية وحاجتنا إلى الدلالة النسقية هي لب القضية، إذ إن ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف كل مات خبئه اللغة من مخزون دلالي، ولدينا الدلالة الصريحة التي هي الدلالة المعهودة في التداول اللغوي، وفي الأدب وصل النقد إلى مفهوم الدلالة الضمنية، فيما نحن هنا نقول بنوع مختلف من الدلالة هي الدلالة النسقية، وستكون نوعا ثالثا يضاف إلى الدلالات تلك. والدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي" (جميل حمداوي، 2018) فالنسق المضمر هو الذي يكشف عن المضمون كما في الضمنية، وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها، ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

1-**المقدس والمدنس:**

بدا الصراع بين الخير والشر منذ بداية الإنسانية فقد أقسم إبليس قائلا لأغوينهم أجمعين فنلاحظ سيدي لخضر بن خلوف ينوه لهذه القضية لينبه الناس خطورة إتباع خطوات الشياطين فيقول:

نِهْزِم بِه القَوم وَحدِي نَفسِي والشَيطان الأعدا

إن سيدي لخضر بن خلوف يشير الى قضية هامة وهي محاربة أعداء الدين والوطن، فكان كلامه موجها لليهود وغضبه اتجاه الكفار قاطبة فيريد جمع شمل المسلمين تحت لواء الإسلام ويحرضهم ضد اليهود للمحافظة على دينهم ولغتهم فلا ينزاحوا لأعداء الدين وشياطين الإنس.

2-الغنى والفقر:

الأَترَاك الي تزدِك خدمِت ولاَدِي رَاعِيا

في هذا البيت إشارة خفية حول الأوضاع السيئة التي كان يعيشها الإنسان الفقير الجزائري ذاك الوقت بحيث كان يصنف سكان الريف إلى طبقات هي : الأجواء و المرابطين ،المخزن وأخيرا الرعية و هذا ما يشير إليه سيدي لخضر بن خلوف فيشكو همه لرسول الله فأولاده يصنفون في فئة الرعية و هم أدنى الطبقات بحيث كانوا يعانون سوء المعاملة و الاضطهاد الاستغلال و في حين كان يعيش الأتراك حياة جيدة ،فكيف لابن المنطقة أين يعيش مضطهدا في ترابه و منطقته و يعيش الغريب ملكا في أرض غيره فالنسق المضمر في هذا البيت هو الظروف المعيشية السيئة و الاوضاع المزرية من فقر و ذل و أمراض مثل الكوليرا و الطاعون إضافة الى وجود مزيج من الأتراك و الكرا غلة، اليهود و الحضر و هذا التمازج في السكان أوجد التمايز بينهم حسب نمط معيشتهم ، و علاقاتهم بالحكام و منه كان الانسان الريفي يعيش حياة صعبة.

3-العلم و الجهل:

نلاحظ من خلال أبيات القصيدة إحاطة سيدي لخضر بن خلوف بالعلوم الدينية واعتماده على القران الكريم بحيث اقتبس منه الكثير ومنه فإن هذه القصيدة ذات نسق ثقافي ومنه يتبين لنا حفظه للقران والأحاديث النبوية الشريفة والتفاسير وهذا راجع لتميز العهد التركي بحركة علمية لم تخمد طيلة العصر وكان الباشوات والأعوان ينشطون العلم فيقول:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مدَارِس بِالعِلم تنَادِي ودوَاوِين الخِير رَشدَا

فهذا البيت ذات نسق ثقافي يتمثل في انتشار الزوايا والمدارس والدواوين مما ساعد سيدي لخضر بن خلوف بالإحاطة بعلوم الدين فكان كلامه هادفا حاملا رسالة دعوة لإيقاظ الناس من غفوته فهذا الشاعر استغل موهبته في نسج الشعر الملحون لإحياء علوم الدين وغرس الروح الوطنية ففي وصف الحياة والممات وكذلك الحشر والحساب والجنة والنار دعوة خفية لإرساء معالم الدين.

4- النزعة الدينية:

تتميز هذه القصيدة بمعانيها، وبروز شخصية الشاعر فيها من خلال بعض الأبيات فنلاحظ قوة إيمانهوزهده، وتعد قصيدته معجم ديني لما تحمله من مفردات منها: الصلاة على النبي، الله، الشفيع القرآن.. وإلى غير ذلك من المفردات الدينية، ولعل المعنى الظاهري يبين للقارئ إلمام الشاعر بعلوم الدين وحفظه للقرآن الكريم، ففي قصائد أخرى يستشهد بآيات، إضافة لحبه للقراءة والكتابة فهذا الشاعر علم الناس القرآن وبحث في التفاسير وأمهات الكتب ليحيط بالدين الإسلامي.

يقول الشاعر: **تِسعَة وتِسّعِين رُؤية والعَاطِي مازَال يَعطي**

إن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم تتطلب الإيمان القوي والزهد الابتعاد عن الدنيا وملذاتها، فهذا البيت الشعري دلاله على زهد سيدي لخضر بن خلوف، مما جعله يرى النبي تسعة وتسعون مرة وينتظر المزيد، والشاعر هنا يبين أنه إنسان صالح وإلا ما رأى نبينا الكريم؟

5 -المهارة والقوة:

يقول الشاعر: **الشعر سلك حرير بيدي ماحملت بضـناه دودا**

إن النسق المضمر في هذا البيت هو افتخار الشاعر بنفسه، لتمكنه من الشعر فهو ينسجه نسجا، وأن النساء لن تلد مثله حتى دودة الحرير لن تستطيع أن تحمل مثله، وهو افتخار بن خلوف لما له من قدرة في كتابة الشعر ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو راجع لمثابرته وحرصه على التزود بالعلم في ذاك العصر على الرغم من الظروف الصعبة والمزرية.

6 -الشهرة:

يقول الشاعر: **عرفوني لما امتدحتك نفـخر بيـك ولاعليا**

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن النسق المضمر في هذا البيت هو الشهرة، فالشاعر يعتز بنفسه كونه اشتهر كثيرا في عصره واعتبروه وليا صالحا وأكثر ما جعله مشهورا هو المديح النبوي الشريف، وأصبح يعرف بمدّاح الرسول لما له من قصائد في المديح، وبقي اسمه خالدا ليومنا هذا فأقيم له ضريح ومدارس باسمه، نظرا لما خلفه هذا الرجل من أعمال ونظرا لحياته المشرفة. فهو من أصحاب العلم والدين والخلق الحسن.

7 -**طلب الشفاعة:**

إن كل مسلم يعرف أن الله تعالى يحاسبنا على أخطائنا وأفعالنا، وعلى الرغم من زهد الشاعر وإيمانه القوي إلا أنه يخاف عذاب يوم القيامة ويطمع في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول:

يامحمد بجاه جاهك لولا انت من سأل فينا

ومنه فالشاعر يحمد الله تعالى على النبي المختار الذي سينادي يوم القيامة "أمتي أمتي" فمن غيره سيسأل؟ وفي ذلك يقول الشاعر:

هو الشفيع في أمته شافعنا يوم القياما.

إن طلب الشفاعة صورة من صور الدعاء لتجنب الهول الأعظم يوم القيامة يوم تجتمع الخلائق.

تاسعا:الحقول الدلالية و خصائص اللغة في قصيدة أحسن ما يقال عندي:

أ - **الحقول الدلالية**

هي قطاع من "مادة لغوية تعبر عن مجال معين من الخبرة ومفاده أن الحقل الدلالي يشمل قطاعا دلاليا مترابطا مكونا من مفردات اللغة التي تعبر عن تصور أو رؤية أو فكرة معينة الحقل الدلالي مجموعة جزئية تتضمن مجموعة كبيرة أو قليلة من الكلمات تتعلق بموضوع خاص كما انه مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام (أحمد عزوز، 2002، صفحة 55)الحقل الدلالي اذا مجموعة المفردات التي تحمل دلالة عامة و تترابط في معناها.

1 -**أسماء الله تعالى**: مولى، الموالي، ربي.

2 -**أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته**:نبينا، منّاع، شافع، مفتاح الجنة، أحمدا، شعشعنورك، صاحب الغماما، الشفيع.

3 -**الدين الإسلامي**: أعوذ بالله، القرآن، كتاب، عبدي، الدين، سجدا، عاصي، شهادا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

4 -**الطبيعة**:الليل،الحوت، الأمطار، النحلة، دودا، قضيب، الأطيار، مالح، العماما، نهار، شهدا، البادية، شط وادي، الزخار.

5 -**الانسان**:أبي، جدي، والدتي، روحي، فاه، عمري، شيبي، روحي، جسدي، عيني،يدي، راسي، أهلي، الجنب، ناس،حملت بضناه.

6 -**الأحاسيس**: حبك، ما عزك، أرفق، نفخر، أحفظ، نرجي، يرجاك، محروم.

7 -الألقاب و الكنى:الأتراك، رقية، المداح، اليهودي، الأخضر.

تعد قصيدة أحسن ما يقال عندي من أشهر القصائد الشعبية لذا نجدها غنية بالدلالات و تنوع المعاني.

ب خصائص اللغة عند لخضر بن خلوف:

1 -التسكين:

يشتهر الشعر الملحون بظاهرة التسكين و قد تعدت هذه الطاهرة في قصيدة أحسن ما يقال عندي منها: خلق بدل خَلق، نهار بدل نَهار، مفاتيح بدل مَفاتيح.

واللغة الشعبية عكس اللغة العربية الفصيحة التي لا يجوز فيها البدء بساكن، فهي تقف على الساكن من غير احراج.

2 -الضمائر:

يستعمل الشاعر لخضر بن خلوف مثله مثل سائر الشعراء، فيستخدم ضمير الجماعة و هو يقصد نفسه مثل:نريد و هو يقصد أريد، نفخر و يقصد أفخر.

3 -الهمزة:

في قصيدة أحسن ما يقال عندي توجد مواضع حذفت فيها همزة إنا لضرورة شعرية وإما تنطق همزة وصل مثل: الدا بدل الداء الايسر بدل الأيسر سية بدل سيئة نودي بدل تودي.

فَضل الله كتَابَه عِندِي يِكفِينِي قُوتِي و**غدَا**

4 -الابدال:

نلاحظ في بعض الأبيات ظاهرة الابدال مثال ذلك:

حُبِك فِي سُلطان جَسدِي مَا عَزِك يَا عِين **وَحدا بحيث ابدل التاء المربوطة الف مد و من ذلك أيضا:** الشّعر سِلك حرير بيدي ما حملت بِضنَاه **دُودا و المقصود دودة بالتاء المربوطة.**

الأَتراك الِي تزِدك خدمِت ولاَدِي **رَاعِيا و القصد رعية.**

خاتمة:

ومن خلال بحثنا توصلنا لمجموعه من النتائج أهمها:

- الأدب الشعبي خلجات الشعوب وهو فن تلقائي نابع من نفس جياشة صادقة، وهو ربط بين ما ينتجه الشاعر وما يحبه الشعب ويعيشه.
- المديح النبوي فن عريق قام مقام السجل الشعري مبني على عاطفة الإعجاب والانبهار بصفات الرسول والاقتداء به.
- القرآن الكريم والحديث الشريف مرجع الشعراء إضافة لكتب التفاسير.
- في المديح النبوي نسق مضمر و هوصرخة الشاعر يناجي بها الرسول صلىا لله عليه وسلم ويشكو آلامه و أوضاعه.
- كثير من النصوص الشعرية والنثرية تحمل في طياتها أنساق مضمرة.
- سيدي لخضربن خلوف شاعر الدين و الوطن أشعاره هادفةتحمل دعوة للنهوض من الأوضاع في كل الجوانب" دينية/اجتماعية/ثقافية..
- تعدد الأنساق المضمرة في قصيدة أحسن ما يقال عندي منها المقدس والمدنس والعلم والجهلوالخير والشر.
- تنوع الحقول الدلالية في قصائد المديح
- الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة الشاعر ومثله الأعلى لما تحلى به من صفات خَلقية وخُلقية.
- قصيدة أحسن ما يقال عندي برهان على تقوى الشاعر وإيمانه القوي وحبه للرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- سيدي لخضر بن خلوف شاعر ووِلي صالح له مكانة مرموقة في الجزائر لما بلغه من درجة رفيعة في العلم والدين.
- شجع الأتراك الجزائريين على حفظ القرآن من خلال فتح الدواوين والزوايا.
- انتشر الأدب الشعبي عامة وفن المديح خاصة في الجزائر لظهور الفرق الصوفية بكثرة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- الشاعر بن خلوف شاعر زمانه لما له من قوة في نسج شعر المديح والتغني بذكر صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الشاعر باع الدنيا بالآخرة وتحرر من قيود النفس والهوى فاتبع أوامر الله سبحانه وتعالى ونبيه وابتعد عن الرذائل وشهوات الدنيا.
- طلب الشفاعة صورة من صور الدعاء والتقرب من الله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع:

1. **القرآن الكريم**
2. إميل ناصيف. (1992). أروع ما قيل في المديح. بيروت: دار الجيل.
3. أحمد عزوز. (2002). أصول تراثية في الحقول الدلالية.منشورات اتحاد الكتاب العرب.
4. خليدة إبراهيم. أشكال التعبير في الأدب الشعبي. القاهرة، مصر: دار النهضة.
5. الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تح المخزومي والسامرائي.دار الهلال
6. سامي الدهان. المديح. القاهرة: دار المعارف.
7. عبد اللطيف خورشيد. (1991). عالم الأدب الشعبي العجيب. دار الشروق.
8. عزيز سامح التر. (1989). الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية،. بيروت: دار النهضة العربية .
9. الفيروزآبادي. (2005). القاموس المحيط. تأليف تح، نعيم العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.
10. فيليب سيرنج. الرموز والأديان والحياة،. تأليف ت عبد الهادي عباس. دمشق: دار النشر.
11. لجنة العلوم الشرعية. (2002). معجم مصطلح الحديث النبوي،. مصر: دار الكتب.
12. مجمع اللغة العربية. (2004). معجم الوسيط. مصر: المكتبة الدولية.
13. محمد الحاج الغوثي بخوشة. ديوان سيدي لخضر بن خلوف شاعر الدين والوطن. الجزائر: نشر ابن خلدون تلمسان.
14. محمود بن عمر الزمخشري . (1923). أسلس البلاغة. القاهرة: دار الكتب المصرية.

مواقع الأنترنت:

15. جميل حمداوي. (20 أوت, 2018). *النقد الثقافي بين المطرقة و السندان* . (منشورات الديوان) http://www.diwanalarab.com/spip.php?article31174